# مُلوك الظل

رواية

جميل دراغمة

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الوهاب

الكتاب : مُلوك الظلِ
تأليف : جميل دراغمة
دراسة وبحث : د. فتيحة عطية
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : عبير محمد
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٣ × ١٩
رقم الإيداع : ٢٣٩٠٢ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 17 - 5

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

# رسالة شكر وامتنان

**في هـذه الروايـة كانـت هنـاك نقـاط كثـيرة بحاجـة لدراسـة وبحـث، كمـا أن الأحـداث كانـت بحاجـة لإعـادة صياغتهـا..**

**مـن هنـا أتقـدم بالشـكر والامتنـان للدكتـورة الفاضلـة فتيحـة عطيـة الـتي قامـت بمهمـة الدراسـة والبحـث وإعـادة صياغـة الروايـة دام عقلـك وقلمـك**

جميل دراغمة

# الإهداء

**إلى كل مـن يمشـون في الضبـاب باحثـين عـن الحقيقة في عالـم يلفـه الغمـوض واليأس.**

**إلى الذيـن يحاولـون فـك الطلاسـم وبعـث الحيـاة مـن جديـد بصـورة واضحـة .**

**إليهـم تُفتـح الأبـواب ويُرسـم طريـق النـور إلى عالـم الحقيقـة المجـرَّدة.**

# كلمة

لـكل إنسـان ظـل يرافقـه، وحيـاة موازيـة لحياتـه، حديـث يطـوي حديثـه، لقـد تاهـت منـه العناويـن وتسـارعت بـه الممـرات نحـو رحمـة ليسـت كرحمـة الله، لـم تسـعه ولـم تسـع أي شيء، بـل كانـت المنّـة تحـت ظـل الرحمـة، عاشـت أمـم في ظـل هـذه الرحمـة المبطنـة، ونهاضـت مـن أجـل التخلـص منهـا، والعودة إلى نفسـها بعـد أن حُجبـت عنهـا حريـة الاختيـار وتحديـد مسـار حياتهـا، وصرفـت عمـا كانـت عليـه، وألبسـت العُـري في زمـن الأقمشـة، وجذبتهـم الأنـوار المتلألئـة مثلمـا تجـذب النـار الفراشـات لتحـترق..

# حقيقة

في قلب العالم العربي هناك زهرة تُسمى فلسطين، زهرة تستخلص منها عطور الأرض، وأنوارها من السماء باركها الله وجعل منها مهبط الأنبياء، زهرة حضنت بين أوراقها العديد من الحضارات العريقة، دولة عربية بموقعها الجغرافي الاستراتيجي والمميز جذبت العديد من الأقوام لتستوطنها وتقيم بها، هي دولةٌ جمعت الأديان السَّماوية، باركها المسيح بميلاده وشرفها الرسول الأكرم صلى الله وعليه وسلم بإسرائه إليها والمعراج

منهـا، وأكرمهـا عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه بفتحـه وتواضعـه بالوثيقـة العمريـة، وأعـاد صـلاح الديـن الأيـوبي لهـا طهرهـا ووقارهـا بتحريرهـا.

لـم تسـلم هـذه الأرض المباركـة مـن الطامعـين عـلى مـرّ الأزمـان، قـد تكالبـت عليهـا قُـوى الأرض ؛لأنها تُعتـبر مفتـاح الـشرق وقلـب الأمـة النابـض، حاولـت قُـوى الـشر أن تقطفهـا، وبـكل السُّـبل، لكن تلـك الزهرة كانـت أشـواكها تحـول عـن ذلـك، وفي كل مـرة تبقـى شـامخة لا تنحني ولا تأبى أن تدنسـها أيـادي المغتصبين.

عـلى مـر التاريـخ حُشـدت الجيـوش للنيـل مـن الزهـرة الفوَّاحـة، بدايـة مـن الحمـلات الصليبيـة المتكـررة وصـولاً إلى منظمـات الظـل الصهيونيـة، وقـد حاولـت تلـك المنظمـات منـذ عقـد مؤتمرهـا الأول عـام ١٨٩٧ م في مدينـة بـازل بسـويسرا، الـتي ادَّعـت أن فلسـطين هـي «أرض الميعـاد» (للشـعب اليهـودي)،

وإنكار وجود أي حضارة في فلسطين، وقد حاولت جاهدة طمس أي أثر لوجود الحضارة الكنعانية فيها.

ورغم تعرض فلسطين للعدوان على مر الأجيال وما زالت تتعرض للعدوان الذي تمثله «إسرائيل» التي زُرِعتْ في فلسطين قلب الأمة بأشكالها العسكرية والسياسية والحضارية، والتي لا زال جنود الظل يعملون جاهدين في الخفاء والعلن على تمزيق الأمة العربية والإسلامية، وإضعافها وإبقائها مفككة الأوصال، ودائرة في فلك التبعية للقوى الكبرى، لكي تبقى على دعم الدول الاستعمارية لفكرتها القائلة بأن فلسطين هي «أرض الميعاد» ( للشعب اليهودي).

ففي كل حِقبة تاريخية يُولد من يحمل على كاهله حماية «إسرائيل» ويستميت في الدفاع عنها، وهم يعيشون بيننا في هذا العالم الواسع يعملون في

**الخفـاء ينسـجون الشـباك للإيقـاع بفرائسـهم المخـدَّرة الغائبـة عـن مـا يُحـاك لهـا همهـا الوحيـد لقمـة العيـش، سـليلة المجـد والعـز يـوم كان همهـا إعـلاء كلمـة الإسـلام، هـؤلاء الذيـن هـم عـلى هيئـة بـشر لكـن داخلهـم سـكن شـيطان خبيـث، همـه الوحيـد تقطيـع أواصـال الأمـة وتفكيكهـا والانقضـاض عليهـا واحـدة تلـوى الأخـرى..**

# ملوك الظل

في شوارع «لندن» وبين زحمة الضباب وخلف أبواب القصور يعيش المجتمع المخملي، أصحاب الطبقة الأرستقراطية، وبين هؤلاء وفي الثالث من أكتوبر لعام ١٩٦٠م تسمع صرخة مدوية تهز أرجاء قصر آل سميث، صرخة ألم وفرح هذا المزيج الغريب ينبأ بالهدوء الذي يسبق العاصفة، إنه بداية عهد جديد لهذه العائلة الأرستقراطية، هذه الصرخة التي طالما انتظرتها بفارغ الصبر، إنها صرخة هافن اندرسون سيدة القصر الجميلة، ذات عيون كبركة مياه عذبة وشعر ذهبي كسنابل الصيف اللامعة، وهي مُمدّدة على فراشها الملكي، ومن حولها الخادمات يلفهن القلق والتوتر بردائهن الأسود والأبيض، ذلك الملاك المُمدد على السرير وقد اشتد عليها ألم المخاض، إنه الوريث الذي تحمله بين أحشائها قد حان وقت خروجه إلى العالم ويبدو أنه على عجلة من أمره ليكتشف العالم الذي سيكون له دور كبير فيه..

مدبرة القصر السيدة جنت الوقور الهادئة دائمًا رغم متاعبها اليومية في تدبر أمر هذا القصر الكبير الذي يعج دائمًا بزوار، هاهي تتحدث مع سيد القصر: سيدي السيدة تتألم كثيرًا ويجب إحضار الطبيب حالاً..!

إنه سيد القصر اللورد ريتشارد سليل عائلة سميث الرجل الفولاذي، ذو الأناقة الدائمة ورغم ملامح وجه القاسية والصرامة التي عهد بها في مجتمعه إلّا أن تحت هذا الوجه يسكن رجل حنون أحب زوجته حبًا عظيمًا، خوفه على زوجته أفقده اتزانه المعهود وبأعلى صوت ينادي على السائق جورج .. جورج اذهب بسرعة وأحضر الطبيب جيم بسرعة..!

ركب جورج السيارة وانطلق بسرعة البرق مصارعًا الضباب وعتمة الليل طاويًا الطريق طيا، حتى بلغ بيت الطبيب جيم وأخذ يطرق باب منزله، أيها الطبيب إن اللورد يطلبك حالاً أن تحضر للقصر لأن السيدة اشتد عليها الألم..

قـال الطبيـب: مـاذا تقـول ياجـورج ؟! موعـد ولادتهـا لـم يحـن بعـد فقبـل أربعـة أيـام كشـفت عليهـا وموعـد ولادتهـا في نوفمـبر القـادم..!

صرخ جـورج في وجـه الطبيـب وقـال إن حالـة السـيدة سـيئة جـدًا، أرجـوك أيهـا الطبيـب كل مـن في القـصر بانتظـارك ..

قـال الطبيـب: حسـنًا ياجـورج أمهلـني بضـع دقائـق حـتى أبـدِّل ملابـسي وآتي بشـنطتي ..

قـام الطبيـب عـلى عجـل بتبديـل ملابسـه وإحضـار شـنطته وركـب بجانـب جـورج في السـيارة وانطلقـا نحـو القصر..

كان مـنزل الطبيـب قريبًـا جـدًا مـن القـصر، وماهـي إلّا دقائـق حـتى وصـلا القـصر ووجـدا اللـورد ينتظـره عـلى البوابـة الداخليـة للقـصر وعـلى وجهـه علامـات التوتـر والقلـق..

الطبيب: لا تقلق سيد ريتشارد كل شيء سيكون على ما يرام.

نادى ريتشارد على الخادمة نانسي .. اصطحبي الطبيب إلى غرفة السيدة،

قامت نانسي مسرعة باصطحاب الطبيب إلى غرفة السيدة، فدخل الطبيب على السيدة ووجد من حولها الخادمات يحاولن تهدئتها، فهب نحوها بسرعة وفحصها ثم إستدار إلى الخادمات وقال:

إن موعد ولادة السيدة قد حان، احضرن ماءً ساخنًا ومناشف نظيفة،

وفي هذه الأثناء كان اللورد من شدة القلق على زوجته يمشي في الرِّواق ذهابًا وإيابًا من أمام باب غرفتها ودخان الغليون الذي في يده يملأ الردهة وهو يرى الخادمات يدخلن ويخرجن .

وماهي إلّا بضع سويعات فإذا به سمع صرخة زوجته يليها بكاء الطفل،

ثم خرج الطبيب من الغرفة وعليه ملامح الأسى والفرح وهو يرتجف قائلاً

مبارك يالورد لقد رُزقت ولدا..

فرح اللورد وكأن الأرض قد سيقت إليه، ثم صمت قليلا وسأل الطبيب:

وكيف هي زوجتي هل هي بخير؟!

طأطأ الطبيب رأسه وقال: سيدي آسف لم أستطع إنقاذها..!

هرع اللورد مُسرعًا إلى غرفة زوجته وارتمى على صدرها والدموع تملأ عينيه .. هافن هافن استيقظي انظري إلى طفلنا كم هو جميل هافن أرجوك لا تتركيني..

وضعت مدبرة القصر يدها على كتف اللورد وقالت له:

السيدة هافن دفعت حياتها ثمنًا، لتنجب لك الابن فاختر له الاسم المناسب..!

هدأ اللورد قليلا وأخذ يد هافن وقبّلها ثم قال:

ارقدي بسلام عزيزتي، سأجعل من «إلبرت» سيدًا تفخرين به.

وفي اليوم التالي ..

حضر آل إندرسون وآل سميث لتوديع هافن الوداع الأخير والوقوف على جنازتها.

كانت جنازة صعبة على ريتشارد فقد رحلت عنه من كانت تقاسمه حياته، ففي إحدى محطات حياته تعرّض ريشتارد لنكسة مالية قوية ولولا وجود هافن بجانبه لما تجاوز تلك المحنة، فقد قامت هافن أثناء محنته ببيع جميع أملاكها الخاصة لترجع ريتشارد إلى مكانته الاجتماعية.. بدأت الذكريات تعصف به وهو واقف على قبرها لم تكن هافن

مجـرد زوجـة، بـل كانـت الصديقـة والحبيبـة والسـند لـه.

ثـم عـاد إلى القـصر وانطـوى بغرفتـه حزنًـا عـلى زوجتـه الراحلـة لمـدة طويلـة، ووضـع ألـبرت تحـت رعايـة الحاضنـة الـتي اعتنـت بـه كأنـه ابنهـا تعلمـه و تربيـه وتغـرس فيـه كل القيـم ؛ ليكـون جديـرًا أن يكـون وريـث عائلـة سـميث العريقـة، تمـر الأيـام وألـبرت الصغـير يكـبر يومًـا بعـد يـوم، ولـم يكـن والـده ينتبـه لهـذا فقـد كان غارقًـا في عزلتـه، حـتى جـاء اليـوم وكان ألـبرت قـد بلـغ سـنته السادسـة، دخلـت مُدبـرة القـصر السـيدة جنـت إلى المكتبـة ملاذ ريتشـارد الدائـم الهائم في صـورة هافـن الكبـيرة الـتي زيَّنـت حائـط الغرفـة وجلسـت عـلى الكـرسي بعدمـا اسـتأذنته ثـم قالـت:

سـيدي لـم تكـن السـيدة هافـن راضيـة لـو رأتـك عـلى هـذه الحالـة، وكيـف تـرضى وأنـت ياسـيدي لا تنتبـه بأنـه قـد حـان الوقت لدخـول إلـبرت المدرسـة..!

نظـر ريتشـارد إلى جنـت بنظـرة تعجـب وكأن أحـدًا صفعـه عـلى خـده ..

جنت ماذا تقولين؟!

جنـت: كمـا أخبرتـك سـيدي إلـبرت اليـوم عليـه أن يدخـل المدرسـة ليبـدأ مرحلـة التعلـم، فهـلا خرجـت سـيدي مـن عزلتـك؟! وبـدأت بصناعـة إلـبرت عـلى أن يكـون سـيدا تفخـر بـه السـيدة هافـن كمـا وعدتهـا؟!

نظـر ريتشـارد إلى صـورة هافـن وبـدأت الدمـوع تجـري مـن عينيـه، ثـم قـال:

عزيـزتي ابننـا اليـوم سـيدخل المدرسـة كأول خطـوة للرجـل الـذي وعدتـك أن يكـون عليـه.

ثـم نهـض وقـال لجنـت أخـبري جـورج بـأن يجهـز السـيارة الخاصـة لأنـني سـأذهب معـه لأدخـل ألـبرت إلى المدرسـة الملكيـة.

صعد اللورد على غرفته وبدأ في تهيئ نفسه وانتقى ملابس أنيقة ووقف أمام صورة هافن وقال: عزيزتي ما رأيك بهذه الملابس وابتسم كأنها حاضرة معه وترد عليه، مازال لم ينسى ذلك الحب الذي سكن قلبه وأُخذ منه فجأة، ثمّ توجه إلى غرفة ابنه وفتح الباب ووجده جالسا وقد ألبسته المربية ملابس أنيقة، نظر إليه ريتشارد وقال: لقد كبرت يا بني وقد حان الوقت أن تكتشف عالمًا آخر، عالم خلف أسوار القصر عالم جديد عليك، لكن يا بني أنت من ستحدد ملامحه، اعلم يا بني أنك لم تفهم ما أرنو إليه؛ لأنك لازلت صغيرًا ولكن ستفهم لاحقًا ما أعنيه، وأخذه من يده ونزلا حيث كانت السيارة تنتظرهما أمام بوابة القصر.

ركب ريتشارد السيارة مع ابنه ألبرت وتوجها الى المدرسة الملكية، وفي الطريق لم ترتفع عينا ريتشارد عن ابنه وكأنه يراه كما كان يحلم أن يكون، وطيف زوجته الراحلة كان يرافقه في عيني إلبرت

وصوتها يرن في أذنه وهي تقول اصنع منه رجلاً عظيمًا .. وعند وصولهما إلى المدرسة قامت المديرة مارغريت طومسون باستقبالهما في مكتبها الفخم، وكان إلبرت جالسا لا يتحرك وملامح الخوف تعلو محياه وطمأنت المديرة اللورد بأن كل شيء سيكون على مايرام، وعليه أن يذهب ويتركه في رعايتها، قام ريتشارد وقبّل ابنه وهمس له في أذنه، كن قويًا مثل والدك ثم انصرف، أخذت مارغريت إلبرت إلى غرفة الصف الأول الخاص بالآنسة كاثرين، طرقت المديرة الباب ودخلت فوقف التلاميذ وقالت رحبوا بزميلكم الجديد إلبرت سميث، ثم خرجت، وطلبت الآنسة كاثرين من إلبرت الصغير أن يقدم نفسه لزملائه في الصف كما قدَّم التلاميذ أنفسهم له، وتوجه إلى المقعد المخصص له ليبدأ أول خطوة في المشوار الذي خططه له والده وتمنته أمه الراحلة.

كانت حياة ألبرت في المدرسة لا تختلف كثيرًا عن غيره من أبناء طبقته، وقد أظهر منذ بدايته نبوغًا

في الحساب، وقد كان للآنسة كاثرين دور كبير إلى ما وصل إليه من تفوق فقد تعاطفت معه من أول يوم نظرًا لفقدان والدته لحظة ميلاده، وتعلق هو الآخر بها واستمر هذا الرباط بينهما طيلة وجوده في المدرسة فقد لمس فيها حنان الأم الذي فقده رغم أن مربيه كانت تعامله بنفس الحنان، لكن كانت في حدود لا يمكن أن تتعداها فقد فرضت قيود على تربيته، إلّا أن حنان الآنسة كاثرين كان مختلف فقد كانت تشجعه على اكتشاف آفاق جديدة تفتح الأبواب تذلل الصعوبات أمامه كانت أمه الروحية.

وتمر الأيام والشهور والسنين واللورد ريتشارد يصقل شخصية ابنه البرت بين الشدة والحنان واضعًا نصب عينه الوعد الذي قطعه لزوجته الراحلة هافن، علمه كل ما يجب ليكون كوريث للعائلة النبيلة، ألحقه بالمدارس الملكية الخاصة وهناك تعرف على العديد من أبناء هذه الطبقة وربطته بهم علاقات وثيقة، وقد اختار له أبوه

المسـار المـالي وبالفعـل التحـق ألـبرت بالجامعـة ودرس الاقتصـاد والمـال والاعمـال، وقـد بـرع في هـذا المجـال وكان مـن المتفوقـين..

تخـرَّج ألـبرت مـن الجامعـة وأصبـح شـابًا وسـيمًا حمـل ملامـح وجـه أمـه البريئـة وصرامـة وشـدة والـده، وكماهـو متبـع عنـد آل سـميث تـولى ألـبرت أعمـال العائلـة، كبدايـة كان مسـاعدًا لأبيـه وبعدهـا صـار هـو المـشرف الوحيـد، ولعبـت علاقـات أبيـه دورًا كبـيرًا في ازدهـار الأعمـال وواصـل هـو المسـار بتوسـيع تلـك العلاقـات وخلـق علاقـات جديـدة كان لهـا فضـل كبـير لاحقًـا في تشـكيل مسـار حياتـه.

كان مـن الـضروري لإلـبرت السـفر وعقـد الصفقات، وفي إحـدى رحلاتـه التقـى بأحـد زملائـه في الجامعـة «مـارك روبنسـون» الـذي أسّـس شركات في أمريـكا و ازدهـرت أعمالـه هنـاك، حيـث التقـى ألـبرت بـه صدفـة في ردهـة الفنـدق الـذي كان يقيـم بـه ألـبرت في نيويـرك،

وتبادلا الحديث و تواعدا على اللقاء في اليوم التالي في مطعم لمواصلة الحديث.

وفي اليوم التالي وصل ألبرت إلى المطعم المنشود حيث وجد مارك ينتظره ومعه شخص آخر، ألقى ألبرت عليهم التحية وعرّفه مارك على «جانتان موتغمري» صاحب البنك الذي يتعامل معه مارك، كان هذا البنك من أكبر وأعرق البنوك في أمريكا، وقد عرض جانتان خدماته على ألبرت في تمويل مشاريعه إذا ما قرّر التوسع في أمريكا، وقد رحب ألبرت كثيرًا بهذا ووجد أنها فرصة من ذهب لغزو الأسواق الأمريكية.

عاد ألبرت إلى لندن وهو يحمل فكرة التوسع بالأعمال خارج لندن، وبدأ بدراسة الفكرة وعرضها على والده الذي رحب هو الآخر بالفكرة واعتبرها انطلاقة جديدة لألبرت والخروج من الدائرة التقليدية للعائلة التي ستتعدى أسوار لندن، وبعد دراسة طويلة ومعمقة انتقل إلى تنفيذها بعد

شـهرين مـن عودتـه مـن أمريـكا واتصـل بـ «جانتـان موتغمـري» والـذي سـهّل لـه كل الطـرق و الوسـائل.

وبـدأت مرحلـة جديـدة في حيـاة ألـبرت، وكـبرت دائـرة علاقاتـه، وفي إحـدى حفـلات «جانتـان موتغمري» الخاصـة عرّفـه عـلى مجموعـة رجـال أعمـال لتوسـيع أعمالـه أكـثر فأكـثر وأخـذ شـيئًا فشـيئًا يغـوص في تلـك الدائـرة، إلى أن جـاء اليـوم الـذي اجتمعـت فيـه هـذه المجموعـة ذات البـدل السـوداء الأنيقـة في بيـت السـيد « جاسـتين ميـلار» وكان موضـوع الاجتمـاع مفاجـأة ألـبرت، قـال جاسـتين أنـه مسـئول عـن جمـع الأمـوال لجمعيـات غـير رسـمية لدعـم اليهـود الموجوديـن في «إسرائيـل»، واسترسـل في تبريـر هـذا الدعـم وهـو يحمـل في يـده كأس نبيـذ يـسرد معانـاة يهـود «إسرائيـل» مسـتندًا للجانـب الديـني والـذي اتضـح أنـه مـن اليهـود المتشـددين، وليـس هـو فحسـب بـل كل الموجديـن في تلـك الغرفـة الـتي يعتليهـا ضبـاب دخـان

سـجائر الحضـور وضحكاتهـم المصطنعـة المخفيـة بـين أسـوار مـنزل «جاسـتين ميـلار» العاليـة.

كان هـذا الاجتمـاع بمثابـة فتيـل قنبلـة سـتنفجر في أي لحظـة إن توفـرت لهـا الظـروف المناسـبة.

تعهـد كل الحضـور ببـذل كل مـافي وسـعهم لتحقيق هـذا الهـدف، الـذي اعتـبروه مبـدأ حيـاة أو مـوت وغايـة يجـب تحقيقهـا مهمـا كان الثمـن.

خـرج كل واحـد منهـم وهـو يفكـر في الطريقـة الـتي سـيحقق مـن خلالهـا هـذا الهـدف، صعـد ألـبرت السـيارة وبـدأت الأفـكار تتزاحـم في رأسـه، وكانـت الفكـرة الـتي لـم تفـارق ذهـن ألـبرت أن المـال يصنـع المعجـزات، وبعـد أسـبوع اتصـل بـ «جانتـان موتغمـري» وطلـب منـه الحضـور إلى لنـدن ليناقـش معـه أمـرًا مهمًـا و بالفعـل حـضر «جانتـان موتغمري»، وعـرض عليـه ألـبرت فكـرة تمويـل مشـاريع، لكن ليسـت بأمريـكا هـذه المـرة، بـل بـدول أخـرى وقـد شـدّد عـلى

الـدول الـتي تعـادي أمريـكا، وذلـك للضغـط عليهـا سياسـيًا مرتكـزة عـلى الجانـب الاقتصـادي، وقـال إن هـذه الـدول صمـام أمـان إذا تأزمـت الأوضـاع وواجهنا ضغوطـا دوليـة سـتقف هـذه الـدول بصفنـا وتدعم أي قـرار لصالـح «إسرائيـل»، وسـتكون هـذه الـدول هـي الـدرع الحامـي لإسرائيـل إذا تمكنـا من إحكام السـيطرة عليهـا اقتصاديًـا يكـون مـن السـهل جـدًا علينـا الضغـط سياسـيًا عـلى هـذه الـدول، رحـب «جانتـان موتغمـري» كثـيرًا بفكـرة ألـبرت ووصفهـا بمـشروع «مطرقـة المـال» ثـم عـاد إلى أمريـكا حيـث جمعـه لقـاء مـع « جاسـتين ميـلار» وهـذا الأخـير عـرض فكـرة ألـبرت عـلى الآخريـن وقـد أبـدوا دعمًـا كبـيرًا، وطلبـوا أن يكونـوا جـزءًا مـن هـذا المـشروع الـذي سـيغير وجـه العالـم والـشرق الأوسـط خاصـة.

كان هــؤلاء رغــم حداثــة ســنهم نــواة المنظمــة السريـة الـتي تتبلـور شـيئًا فشـيئًا، والـتي حملـت عـلى كاهلهـا حلمًـا ظهـرت بـوادره مـع نهايـة القـرن التاسـع

عشر، وقد سبقهم كثير قبلهم واستطاعوا وببراعة لم يسبقهم أحد في زرع ورم خبيث في قلب الأمة العربية، وجاء دور هذه المنظمة التي كانت في بدايتها سرية حماية وضمان انتشار الورم لتحقيق حلم راود أسلافهم منذ عشرات السنين لبسط «إسرائيل» الكبرى من النيل الى الفرات، فهؤلاء امتداد لنخبة عملت جاهدة مستعملة كل السُّبل لرسم خريطة العالم والشرق الأوسط خاصة.

رفع هؤلاء شعار الأجداد وكرَّسوا كل ما لديهم لخدمة المشروع، كانت البداية بناء شبكة اتصالات كبيرة وذلك بإرسال فرق استطلاعية و استخباراتية تحت مسميات كثيرة مستثمرين سواح وغيرهم، والهدف من كل هذا جمع أكبر عدد من المعلومات وإيجاد الثغرات التي يمكن الولوج منها إلى تلك الدول وأخذت دراسة ما وصلوا إليه سنوات إلى أ، جاءت ساعة الصفر.

بـدأ التحـرك لتنفيـذ هـذا المـشروع، كل واحـد مـن هـؤلاء يعمـل في وضـح النهـار مرتديًـا ثـوب المـلاك الـذي يمـد يـد العـون ويبـني علاقـات في تلـك الـدول ويقيـم مشـاريع اقتصاديـة ويوطـئ قدمـه في هـذه الـدول، بينمـا تحـت هـذا الثـوب الملائـكي كان شـيطان يتربـص لينقـض عـلى ضحيتـه الغارقـة في مشـاكلها الداخليـة، وقـد جنّـد مـن أبنـاء تلـك الـدول لخدمـة المـشروع الكبـير مستعملا كل وسـائل الإغـراء، وبالطبـع وجـد الكثيريـن ممـن باعـوا الضمـير ليشـتروا بـه الضلالـة.

بـدأت الشـبكة تكـبر وطبعـا الخيـوط تسـير هنـاك مـن بعيـد وتمـر السـنوات وخيـوط بيـت العنكبـوت تنسـج شـيئا فشـيئا، وهاهـو ألـبرت يشـارف عـلى أن يكمـل عقـده الثالـث، وقـد أسّـس مجموعـة مـن الـشركات الـتي توظـف الملايـين مـن أبنـاء تلـك الـدول وصـار لـه وزن ثقيـل وذو نفـود كبـير بعدما طـوى تحت جناحـه أصحـاب المناصـب الحساسـة في الحكومـات

الذيـن لا يتوانـون عـن تنفيـذ أي طلـب أو بالأحـرى أي أمـر مهمـا كان ومهمـا كانـت الوسـيلة.

كان اللـورد ريتشـارد ينظـر إلى ألـبرت والمكانـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة الـتي وصـل إليهـا ابنـه وفي قـرارة نفسـه يخاطـب زوجتـه الراحلـة وهـو يقـول قـد صنعـت منـه رجـلاً عظيمًـا ياهافـن، الغريـب في الأمـر أن طيفهـا كان يـزور ريتشـارد وملامـح الحـزن وعـدم الرضـا باديـة عليهـا، ويسـألها أليـس هـذا ألـبرت الـذي كنـت تتمنينـه أن يكـون، ولكـن سرعـان مـاكان طيفهـا يختفـي فـور سـؤاله، ويـترك ريتشـارد في حـيرة مـن أمـره، لـم يكـن يعلـم ريتشـارد عـن مـشروع «مطرقـة المـال» وأن ألـبرت هـو العقـل المدبـر والمنفـذ لـه..

مضـت الأيـام وكان ريتشـارد يـزداد حـيرة، وقـد أصيـب بمـرض في جهـازه العصـبي ممـا جعلـه عاجـزًا عـن الحركـة، حـتى في يـوم اشـتد عليـه المـرض وقـال طبيبـه الخـاص أن اللـورد في أيامـه الأخـيرة فقامـت

مديـرة القـصر السـيدة جنـت بالإرسـال في طلـب حضور إلـبرت، والـذي حـضر مسرعًـا لقـصر والـده..

دخـل غرفـة والـده وجلـس عنـده وكان اللـورد نائمًـا عـلى فراشـه وعلامـات المـرض مُرتسـمة عـلى وجهـه فأخـذ ألـبرت يـده ففتـح ريتشـاد عينيـه، وقـال أهـذا أنـت يـا إلـبرت ؟!

قـال إلـبرت أجـل يـا ولـدي لقـد أخـبروني أنـك لسـت على مايـرام..!

قـال ريتشـارد دعـك مـن هـذا، إن طيـف والدتـك لا ينفـك عـن زيـارتي منـذ رحيلهـا، لكـن في الآونـة الأخـيرة كان حزينًـا جـدًا كلمـا تحدثـت عنـك، ولا أعلـم ماهـو السـبب برغـم أنـني جعلـت منـك رجـلاً عظيمًـا وسـيدًا ذو مكانـة مرموقـة كمـا وعدتها..هـل صنعـت شـيئا أحـزن أمـك ولـم أعلـم بـه ؟!

قال ألبرت لا يا أبي، لقد بنيت لآل سميث إمبراطورية عالمية لم يسبقني أحد إليها حتى أن مصير دول أصبح رهن إشارتي..!

تعجب ريتشارد من كلام ابنه عن الدول ومصيرها، حيث أنه لم يخض أي معترك سياسي، فقال له عظيم .. ولكن كيف فعلت هذا وماهي الغاية من ورائه؟!

رفع إلبرت حاجبيه وقال هل سمعت يا أبي يومًا عن «مطرقة المال» ؟!

قال ريتشارد متعجبًا: لا يا ولدي

« تصنع كل ما نريد « .. هل تحليلي لها صحيح؟!

قال إلبرت:

نوعًا ما، ولكن ليس كما تظن سأخبرك أكثر عنها، هل أسند ظهرك لتنصت إليَّ ،

**قال ريتشارد:**

**نعم لقد شوقتني لمعرفة ما ترنو إليه..!**

**بدأ ألبرت بشرح فحوى المشروع، أخذت ترتسم ملامح الذهول على محيا ريتشارد وتمتلئ عينيه بدمع ساخن من حرارة حرقة قلبه الذي يكاد يقفز من صدره من شدة خوفه على أن يبدأ ألبرت باللعب في النار وعيناه متجهة إلى السماء حيث هناك طيف زوجته الحزين يراقب، ويعقد الأسى لسانه حتى وضع يده على فم ألبرت ليسكته، ففاضت روحه لخالقها دون أن يشعر ألبرت الذي كان منهمكًا في الحديث فخورًا بما صنعت يداه، صعدت روح ريتشارد التعيسة إلى السماء وهي تردد سامحيني يا هافن لقد خيبت آمالك في ابننا، لقد فشلت في مهمتي لقد صنعت منه وحشًا كاسرًا، وتمسك يد هافن ريتشارد ويصعدا معًا وكلهما يأس وحزن وحسرة على الابن أو الوحش الذي منيا به، استيقظ ألبرت من نشوته ووجد والده جثة**

هامـدة، صرخ ألـبرت بأعـلى صوتـه مناديًـا كل مـن في القـصر ولكـن هـذه المـرة لـم تسـعفه مناداتـه..

وفي اليـوم التـالي دفـن ريتشـارد بمقابـر العائلـة بالقـرب مـن زوجتـه وهاهـو ألبرت يقـف على قـبر والديه وكلـه فخـر ظنًـا منـه أن الدمـوع الـتي فاضـت بهـا عينـا والـده هـي دموع فـرح ليقطـع وعـدًا لهما أنه سـيواصل عـلى هـذا الـدرب الـذي اختـاره بـكل إصرار لتحقيـق الهـدف الرئيـسي الـذي سـطّره في بدايـة مشـواره.

عـاد ألـبرت إلى القـصر وتوجـه فـور دخولـه إلى مكتـب والـده وجلـس عـلى كرسـيه وكأنـه سـلطان العالـم، ينظـر إلى السـقف ويخيـل لـه أنـه يمتطـي صهـوة الأرض وسـكانها كلهـم مشـجعين لـه ومراهنـين عـلى نجاحـه في سـباق السـيادة..

***

وما هي أيام من دفن ولده أستأنف ألبرت عمله المعهود وكله إصرار و عزيمة ضمن المنظمة الذي أصبح العضو الأكثر فاعلية تلك المنظمة التي عرفت هيكلية تنظيم دقيق وتقيم مستمر، حيث تجتمع بشكل دوري لتقيم ما وصلوا إليه ووضع خطوات للمرحلة القادمة، وهاهم الثالثة يجتمعون ألبرت ومارك وجاستين مثل كل مرة في بيت مارك ليناقشوا فيما بينهم ، وأشد النقاش..

قال مارك: إن التقارير التي لديَّ تشير أننا نسير بخطوات ثابتة وجد مرضية غير أن ألبرت الذي كان جالسًا وبيده كأس نبيذ وسيجارة بيده الأخرى تبدو عليه علامات عدم الرضى وقف فجأة ونظر إليهما وقال: بهذا الأسلوب لم نحقق شيئا نحن مثل الأعرج الذي يحاول أن يقنع نفس أنه يركض فأنا أرى حان الوقت لتغير الأسلوب فهناك تطورات جديدة على ساحة العالمية والوتيرة التي تسير بها الأمور بطيئة للغاية من الأجدى الآن تسريع الأمور..

طالب ألبرت بتجنيد عدد أكبر من الأشخاص وبأي ثمن، غير أن بقية الأعضاء أبدوا نوع من التحفظ ؛ لأن هذا سيضع الجمعية بوضع مكشوف، وأخيرًا بين شد ورد أقنعهم ألبرت بوجهة نظره أن الوقت يمر بسرعة دون تقدم ملموس على أرض الواقع في ظل التحركات على ساحة العالمية..

واصل ألبرت قوله: كل ما أنجزناه لحد الآن هو صرف للمال في مشاريع تكميم أفواه الجياع في هذه البلدان وجاء الوقت لنحصد ما زرعنا، هم الآن تحت رحمتنا لا يسعهم الاعتراض وقد ملأنا بطونهم وأنهى كلامه بحان وقت المطرقة أن تضرب وبكل قوى لتكسر كل من تسوّل له نفسه أن يعترض أو حتى مجرد التفكير بهذا.

***

انتهى الاجتماع وقد رسموا الخطوط العريضة للمشروع ألبرت ووضعوا الهيكل التنظيمي، ففي دهاليز المطرقة المالية كان هناك قسم خاص وسري للغاية يعمل به أشخاص ذوي خبرة استخبارتية وعلماء نفس مهمتهم الرئيسية الصيد، ليس الصيد المعرف بل صيد الأشخاص والذي له خلايا في كل الدول، تعمل تلك الخلايا سرا لانتقاء الفرائس لتجنيدها لصالح مشروع المطرقة المالية، والإغراق صنارة هذا الصيد، وليس كل الأشخاص بل يُختار الشخص ذو نفوذ وما إن يستنفذ يستبدل بآخر وهذا ليس بصعب؛ لأن القائمة تسع الكثيرين من الطامعين في الثراء والكراسي والسلطة مقابل تمرير ما يمليه عليهم أولياء نعمتهم.

السرية والدهاء والتنظيم شعار هذا المشروع، الذي اعتمد على هيكلية تنظيمية دقيقة حيث قُسم العالم إلى نطاقات وكل نطاق تابع لقسم خاص مسؤول عنه هو يسيره بطريقة المناسبة لأن كل

نطـاق يختلـف عـن الثـاني سـواء جغرافيًـا، اجتماعيًـا، اقتصاديًـا، ثقافيًـا وحـتى سياسـيًا، ألـبرت كان مسـؤول عـن القطـاع ألـف أو القطـاع رقـم واحـد والـذي يضـم اثنـان وعشريـن دولـة وهـذا الأخـير مقسـم إلى فـروع، كل فـرع لـه مهمًـا خاصـة محـددة، الفـرع الأول فـرع الاسـتخبارات ومهمتـه جمـع المعلومـات عـن الدولـة والأشـخاص الذيـن يتـم تصنيفهـم حسـب المناصـب، القـدرات والأوضـاع، وأي معلومـة مهمـا كانـت صغـيرة فهـي ذات أهميـة ويسـتفاد منهـا عندمـا يـأتي دورهـا، وهـذا مـا مكنهـم مـن وضـع قاعـدة بيانـات كبـيرة مـن الأشـخاص قابلـين للتجنيـد، فهـؤلاء الأشـخاص هـم بمثابـة قنابـل موقوتـة، أو خلايـا نائمـة يتـمّ اسـتعمالهم كلمـا اسـتدعت الـضرورة حـتى مـن دوّن علـم لديهـم، بمجـرد وضـع الخطـوة في المـشروع يكـون الأشـخاص المناسـبين لهـذه المرحلـة قـد تـمّ انتقاءهـم مـن ضمـن قاعـدة البيانـات، كل المعلومـات الـتي تـم حفظهـا تتـمّ تجديدهـا بشـكل دوري، مـا

الفائدة وإلى أين تذهب هذه البيانات؟ فهذا الكم الهائل من المعلومات يتم تسليمه إلى الفرع الثاني فرع الدراسة الذي يعمل به جيش من الخبراء في جميع المجالات مهمتهم دراسة الواقع بكل زواياه ومعطياته بأدق تفاصيله، وبدوره يتم تسليم هذه الدراسات إلى الفرع الثالث فرع الخطط والاستراتجيات أو مطبخ المشروع هنا يتم تسطير الخطط والأدوات المناسبة لخدمة المشروع وبعد كل هذا المسار يأتي دور فرع التنفيذ على أرض الواقع سواء بأيدي محلية أو أجنبية بهذه الحنكة والدهاء يتم نصب الفخاخ ونسج خيوط وإحكام القبضة على الفريسة الضالة، هذا هو النموذج المتبع في كل قسم وهكذا يُسير كل نطاق من العالم، شياطين في جلد ملائكة.

في إحدى حفلات المقامة على شرف ألبرت في أمريكا إنجازاته الباهرة التي حققها طوال مدة تولية رئاسة المنظمة يتعرف ألبرت على الآنسة

نانسي أبوت التي تعمل في المكتب الرئاسي وعضو بحزب الجمهوري فقد شدته بجمالها كانت ممشوقة القامة ذات عيون جريئة وحادة وشعر بسواد ليلة فقدت ضوء القمر، كانت ترتدي فستانا طويلا أبيض اللون تحمل في يدها كأس شمبانيا وتوجه إليها ألبرت لتعرف عليها وشده حديثها حتى أنه لم ينتبه للوقت الذي يمر فقد فتنته بقوة شخصيتها وخاصة أنها تشاطره نفس الأفكار بعدما أخبرها عن المنظمة وهدفها.

ودَّع ألبرت نانسي التي أسرت قلبه وعقله والذي قرَّر الارتباط بها، حيث كان يقول في قرارة نفسه امراة قوية مثلها ستكون مثل الدرع الحامي والسند وأفكارها خلاقة ستساعدني في مشواري ولها علاقات في البيت الأبيض و الحزب، وماهي إلا أشهر حتى عقدا قرانهما في قصر أبيه بلندن في حفل مهيب ضمّ الكثير من الشخصيات السياسية والاقتصادية الذين باركوا هذا الزواج.

وفي إحـدى الليـالي كان ألـبرت في مكتبـه سـاهرًا كعادتـه دخلـت عليـه زوجتـه الـذي وجدتـه سـاكنًا يحـدق إلى تلـك الخريطـة الكبـيرة الـتي عُلقـت عـلى أحـد جـدران والـتي طالمـا وقـف أمامهـا لسـاعات يتأملهـا كأنـه يُحدثهـا، اقتربـت منـه نانـسي دون أن ينتبـه ووضعـت يدهـا هـلى كتفـه..

قالت : زوجي العزيزي مالي أراك حائرًا

فـرد عليهـا قائـلاً: يـا نانـسي الوقـت يمـر بسرعـة وأنـا لسـت راضيـا أبـدًا عـلى أسـلوب عمـل المنظمـة، إنهـا تمـشي كسـلحفاة وخاصـة أن الأحـداث تتحـرك بسرعـة وأنـت تدركـين أن أي تأخـر لـن يكـون جيـدًا لنـا، ثـمّ اسـتدار إليهـا ووضـع يديـه عـلى كتفيهـا واقتربـا أكـثر مـن الخريطـة العجيبـة ويواصـل الحديـث ثـمّ أشـار إلى «إسرائيـل» كيـف لي لنـا أن نعـزز أمنهـا وكل مـا يحيـط بهـا مـن دول يهـدد أمنهـا..

سكتت نانسي ثمّ قالت: أي من الدول المحيطة بـ «إسرائيل» تخيفك أكثر يا زوجي العزيز.

وضع يده على دولة شرق «إسرائيل» هذه الدولة هو يشير إليها على الخريطة هي من أقوى الدول في المنطقة كما أنها من أكثرهم تقدمًا فقد أولوا للتعليم أهمية كبرى وأنت تعلمين يا نانسي أن التعليم هو الأساس لو سكتنا الآن عنها فلن نستطيع أن نكبحها بعد بضعة سنوات والأكثر خطورة أنه وفي هذه اللحظة التي نتحدث فيها بإمكانها أن تضرب إسرائيل بوابل من الصواريخ التي تملكها وقد تأكد لنا من قسم الاستخبارات أن تلك الصواريخ التي لديها من طراز المتطور، فأنا عاجز يا نانسي لا نستطيع فعل شيء لو وجهنا لها ضربات مباشرة دون أسباب مقنعة العالم سيقف ضدنا.

وأنت تتذكرين تدخلنا الأخير والذي ووقفنا فيه إلى جانب الدولة المجاورة لها لحمايتها لما اجتاحتها قوات تلك دولة ورايتي مدى تقدم الأسلحة التي

كانـت لديهـم ولـك أن تتخيـل إلى أي مـدى وصـل التقـدم عندهـم منـذ تلـك الحـرب و خاصـة أنهـم لا يفصحـون عنـه رغـم الجواسـيس المزروعـين هنـاك، ورغـم تدخلاتنـا العسـكرية آنـذاك إلّا أنهـا لـم تعـطِ النتيجـة الـتي كنـا نرجوهـا وبـاءت خطتنـا بفشـل ذريـع، لـذا يجـب أن نفكـر في خطـة أكـثر نجاعـة حـتى لا نتعـرض لهزيمـة مماثلـة هنـاك مـرة أخـرى.

ردت عليـه زوجتـه قائلـة: هـذه الدولـة قوتهـا نابعـة مـن داخلهـا فالشـعب قـوي هـذا مـا يجعـل منهـا صعبـة المنـال ؛ لـذا علينـا أن نجـد طريقـة لكـسر هـذا السـند القـوي كي نقـضي عليهـا علينـا أن نعمـل داخـلا، وذلـك بنـشر الفـوضى وتكسـير هـذا التناغـم، وواصلـت الحديـث هـل لي بالملـف هـذه الدولـة دعـني أراجعـه وبعدهـا اطلعـك إلى مـا واصلـت إليـه.

تناول ألبرت الملف من الدرج وسلمه لنانسي

أخـذت نانـسي الملـف إلى غرفـة نومهـا وتركـت ألبرت وقـد أخـذ ملفـا آخـر بـدأ في مراجعتـه.

ومـا إن دخلـت الغرفـة بـدأت تدقـق في أبسـط التفاصيـل إلى أن غلبهـا النعـاس ونامـت، واسـتيقظت عـلى صـوت المنبـه وأول مـا فعلتـه تناولـت الملـف بسرعـة قائلـة هـذه هـي..

أسرعـت بـنزول لتبعـث عـن ألـبرت بعدمـا لبـس ملبسـها دخلـت غرفـة الطعـام فوجدتـه جالسـة

نانـسي: صبـاح الخـير عزيـزي لقـد وجـد مـا كنـا نبحـث عنـه.

ألـبرت: صبـاح الخـير نانـسي مـاذا تقولـين لـم أفهـم افصحـي أكـثر؟!

نانـسي: الدولـة الـتي كنـا تحدثنـا عنهـا الليلـة الماضيـة

ألبرت: ما بها؟!

**نانـسي: لقـد وجـدت الطريقـة ووضعـت الملـف فـوق الطاولـة.**

**وواصلـت الـكلام: هـذه الدولـة تملـك مخـزون مـن البـترول ويجـب أن نسـيطر عليـه هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى قوتهـا العسـكرية لا يسـتهان بهـا علينـا أن نعمـل عـلى الجبهتـين.**

**رد عليها ألبرت: كيف ذلك؟؟!**

**نانـسي: داخليًـا وحسـب مـا وجـدت في الملـف المجتمـع مؤلَّـف مـن طوائـف دينيـة شـيعة وسـنة وأنـت تعلـم عزيـزي أن الشـيعة سـيقفون في صفنـا ويدعمنـا إذا مـا ولينـاهـم مقاليـد الحكـم هنـاك، وهذا سيسـاعدنا كثـيرًا دون أن نحـرك سـاكنًا يكفـي تأليـب الطوائـف عـلى بعضهـا وإشـعال الفتنـة بينهـا وهـم سـيقضون عـلى بعضهـم تدريجيًـا ونحـن بعيديـن كل البعـد نتفـرج ونحتـسي الشـاي وهـي تحمـل كـوب الشـاي : إنهـا تتخيـل الموقـف في ذهنهـا..**

ثـمّ وقفـت وواصلـت الحديـث وهـي تجـوب الغرفـة: هـذا سـيكون بمثابـة خطـوة أولى تمهـد للمرحلـة الـتي تـأتي بعدهـا بعدمـا سـتعم الفـوضى والـتي سـتكون غطـاءً لنـا وبـدون شـعور منهم سـنقوم بخلـق جامعـات إرهابيـة تقتـل وتنهـب تكـون يدنـا الـتي تـضرب دون ربطنـا بهـا وطبعًـا سـنمدها بالسـلاح والأمـوال الضروريـة.

وأكملـت وهـي تنظـر إلى السـقف وكلهـا فخـر لمـا وصلـت إليـه : وبهـذا نكـون هيأنـا العالـم لتقبـل فكـرة المنقـذ، وهنـا يـأتي دورنـا كأبطـال في تحريـك الجيـوش نحوهـا والـكل سـيقف في صفنـا وسـيؤيدوننا في القضـاء عـلى هـذه الجماعـة، سـيعم الخـراب نتيجـة القتـال الطائفـي ولا أحـد سـينتبه إذا مـا سـيطرنا عـلى البـترول مـن خـلال نـشر قواعـد عسـكرية تحـت ذريعـة حمايتهـم ومحاربـة الجماعـات الإرهابيـة حـتى الشـعب سـيفتح لنـا ذراعيـه فـلا تنـسى نحـن جئنـا لإنقاذهـم ..

توقفت عن الحديث قليلاً ثمّ نظرت إلى ألبرت قائلة: لكن يا عزيزي قد شدتني نقطة جوهرية أن كل هذا لن نستطيع تنفيذه.

نظر إليها ألبرت قائلاً : ما هي يا عزيزتي؟

فردت قائلة: قبل هذا يجب القضاء على الرئيس فهو قوي جدًا ولن يسمح بأي تدخل خارجي في شؤون بلاده، فما هي خطتك للقضاء عليه.

قال ألبرت يالك من امراة ذكية دعيني أفكر قليلاً ..

سكت ألبرت قليلاً وراح يفكر وهو يحدق من النافذة ثمّ استدار إليها وقال: لا يوجد حل سوى الضربات المباشرة لكن يجب قبل هذا أن نوفر الأسباب، دعني أفكر وسأطلعك لاحقًا إلى ما وصلت إليه.

ظل ألبرت يفكر ليل نهار لا يهدأ له بال لإيجاد السبب المقنع دوليًا للقضاء على رئيس تلك الدولة وبيننا هو جالس يفكر طرأت له فكرة جهنمية ماذا

لـو أوهمنـا العالـم أن هـذا الرئيـس يفكـر في تدمـير المنطقـة بأسـلحته أكيـد كل الـدول المحاذيـة سـتخاف مـن هـذا التهديـد وتؤيـد فكـرتي بالقضـاء عـلى تلـك الأسـلحة.

أخـبر ألـبرت زوجتـه بمـا وصـل إليـه وهـو عـلى مائـدة العشـاء والـتي سـألته كيـف سـننفذ يـا عزيـزي.

رد ألـبرت قائـلاً: أولاً علينـا نـشر هـذه الفكـرة وهـذه مهمـة جهـاز الإعـلام لدينـا وهـم سـيتكفلون بخلـق الأدلـة وترسـيخ هـذه الفكـرة في عقـول النـاس وأنـت تعلمـين كـم مـن السـهل إقنـاع العقـول بفكـرة إذا مـا توفـرت لهـا الأسـلوب المناسـب في طرحهـا ولا تنـسى أن لدينـا مـا يكفـي مـن الخـبراء لهـذه المهمـة .

وماهـي إلّا أيـام حـتى انطلقـت الماكينـة الإعلاميـة عملهـا في ترويـج تلـك الفكـرة والـتي هـزت العالـم وزرعـت الخـوف فيـه وكلٌ سـارع لضـمّ صوتـه مناديًـا بالقضـاء عـلى هـذا الخطـر.

كانت سرعة حشد التحالفات ضد تلك الدولة تسير كما تسير النار في الهشيم، رغم إنكار تلك الدولة عدم وجود الأسلحة المزعومة لكن قوة الإعلام سلبت العقول وقوة المال سلبت الإرادة.

وبالفعل وبدون سابق إنذار بدأت الضربات تنزل على تلك الدولة من كل صوب وحدب دون مراعاة لمصير الأبرياء من المدنيين الذين وقفوا مع رئيسهم فقد اختاروا الموت على أن يتركوا تراب بلدهم يُنهب وواصلوا الدفاع مستميتين على وطنهم لوحدهم سنوات إلى أن سقطت دولتهم، مات وأسر الكثيرون وتمّ القبض على رئيسها والذي قتلت معظم عائلته وحكم على رئيسها بالإعدام بعد محاكمة صورية تمّ تلفيق الأدلة التي استمرت لشهور من مهزلة إلى أخرى.

بينما كانت المنظمة قد هيئت لتنفيذ الهدف الأول من الخطة وهو السيطرة على الذهب الأسود

وبالفعل تمّ الاستيلاء على مخازن بترول وزرعت بها القواعد العسكرية..

ثمّ الانتقال إلى المرحلة التالية إغراق البلد في دوامة لا متناهية من الفوضى فقد عمّ الفساد كل أجهزة الحكومة ودفع الشعب الثمن وشتت أهلها ودمرت مدنها واحدة تلوى الأخرى بحجة محاربة الجماعات الإرهابية، هذه الفزاعة التي تمّ اختلاقها لترهيب العالم..

***

لا ينفك ألبرت من انتهاء من دولة حتى ينتقل إلى دولة أخرى واضعًا نُصب عينه خريطة «إسرائيل»، يفكر ليل نهار في تأمينها خارجيًا ولم يتوانى للحظة عن تنفيذ خطته المطرقة المالية..

بعدما انهك الدولة التي كانت شوكة في حلقه هاهو في مكتبه واقفًا يتأمل الخريطة، ويقول في نفسه هذه الدولة الواقعة شمال «إسرائيل» ستشكل خطرًا

على المدى البعيد؛ لذا يجب القضاء عليها وكسر شوكتها من الآن حتى نضمن استقرار «إسرائيل»، لذا يجب هز استقرار هذه الدولة داخليًا ولا يكون هذا إلا بتنصب دكتاتور يراعي مصالحنا، وأكيد الشعب لن يرضى هذا وستقوم ثورة ضده، وهو بالمقابل سيقمعها وسنكون خلفه وإذا استدع الأمر سنتدخل عسكريًا وبحجة محاربة الإرهاب، وهذه الحجة أصبحت سلاح قوي جدًا ولن نجد معارضة دولية، وبالفعل تمّر ذلك وماهي إلّا شهور وسقطت الدولة في يدهم يجولون فيها كأنها ملكيتهم الخاصة، وتمر الشهور و السنوات وقد دُمرت الدولة عن بكرة أبيها وشرد شعبها وشتت في بقاع الأرض هاربًا من ظلم الدكتاتور.

وضع ألبرت تلك الدولة نصب عينه وبدأ بتنفيذ ما جاد به تفكيره برسم الخطة المحكمة التي ستغير معالم المنطقة، وقد ساعده في ذلك أن رئيس تلك الدولة كان سلسالاً لعائلة لطالما

خدمت مصالح المنظمة فلم يجد صعوبة في تنفيذ مخططه الخبيث.

بدأت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية تتأزم في ذلك البلد شيئًا فشيئًا و زاد الخناق على شعبها إلى أن جاءت اللحظة التي انفجر ذلك الشعب فخرج في مسيرات سلمية عارمة جابت ربوع البلد تطالب بتحسين الوضع، دب الخوف في رئيسها الذي لم يجد بداً إلا بقمع تلك المسيرات و الاحتجاجات بالسلاح، سقط العشرات، واعتقل الكثيرين والذين ذاقوا العذاب خلف قضبان المعتقلات، ولم يسلم من براثنه لا نساء ولا شيوخ ولا حتى الأطفال..

سالت الدماء والدموع وعم الخراب والألم والأسى، رغم هذا لم يستسلم الشعب فقد كوّن جماعات مقاومة وهذا ما أرعب الرئيس الذي رأى أنه إذا ما استمر الوضع كما هو عليه بالإضافة لضعف جيشه الذي انقسم فهو هالك لا محالة ..

ما كان من الرئيس إلّا أن طلب الحماية من الدول الأخرى، وهي تلك المرحلة التي رسم ألبرت معالمها بدأت تُنفذ، دخلت القوات الأجنبية إلى البلد لم يكن قاتلا منصفًا فقد تم الاعتماد الكلى على القصف المباشر دون تميز وقد استعملت أسلحة محضورة دوليًا فمن لم يمت بالرصاصة مات خنقًا بالغازات السامة أو محشورًا بين أنقاض بيته يضمّ عائلته ..

أطفال ونساء، مباني مدنية ومستشفيات لم يسلم لا حجر ولا شجر ولا بشر من القصف، ما كان من معظم هؤلاء إلا الفرار من الموت المحتوم وإنقاذ ما تبقى من أشلائهم التي مزقتها الحرب الغير العادلة في حقهم، لكن الموت كان يلاحقهم فكان القناصة ينتظرونهم على حدود المدن ومن استطاع الإفلات بجلده واصل رحلة الموت عبر الحدود أو على متن قوارب الموت التي فتكت بهم ونامو في بطن البحر، وقليلون من وصلوا إلى الجهة

الأخرى من البحر متوهمين أنهم وصلوا بر الأمان، لكن سرعان ما تتكسر آمالهم على أحجار الواقع فقد وجدوا أنفسهم في بلد غريب منبوذون من أصحاب الأرض الذين رأوا فيهم المنافس في الحياة فكثيرًا منهم كانوا ضحايا لاعتداءات مجهولة ..

وهكذا حقق ألبرت مخططه بحذافيره ومن مكتبه يُحرك أحجار شطرنج وفي وقت وجيز طمس معالم ودمر ذلك البلد، البلد الذي شهد عبر التاريخ حضارة وازدهار ورقي..

رغم النجاحات التي يحققها ألبرت كانت عناية السماء بالمرصاد، كما أذاق العالم الألم جاء دوره ليتذوق من نفس الكأس، كأس الخيانة ومن أقرب الناس إليه أنها زوجته نانسي، انشغاله الدائم في عمله عنها جعلها تبحث عن الاهتمام بين أحضان زميلها بالعمل أنتوني جيلبارت كانا يتواعدا سرًا في شقته وقد دام هذا شهور إلى أن جاء اليوم التي ظنت فيه نانسي أن ألبرت قد سافر لعقد صفقة في

باريس، لكن نظرًا لعطل في طائرته الخاصة أضطر أن يؤجل رحلته وعاد إلى البيت وما إن دخل غرفته كانت الصاعقة التي ضربت عرش آل سميث، تناول مسدسه الذي يحمله دائمًا معه وسدد على أنتوني وأصابه في الكتف؛ لأن نانسي كانت تحاول أخذ المسدس منه وبعد عراك طويل استطاع أنتوني ونانسي الاستحواذ على المسدد وكان ألبرت ساقطًا على الأرض ونانسي تمسك المسدس وهي تقول هذا كله بسببك، أنت من أهملتني وفضلت عليّا عملك رغم محاولاتي للفت انتباهك لكن لم تبالي لي والآن أنت تعلم كل شيء أريد الطلاق، ورمت المسدس على الأرض بعدما تخلصت من الرصاصة التي كانت فيه ورحلت مع أنتوني وهو يمسك بذراعه المصاب.

بقي ألبرت جاثمًا على الأرض يفكر ويقول إنها حشرة لا تستحق كل ما منحتها إياه، من الأحسن أن أتخلص منها لم يعد لها أي أهمية، وكذلك

هـي تعيـق مسـاري وتنـاول الهاتـف واتصـل بمحاميـه وطلـب منـه البـدء في معاملات الطـلاق والـتي اسـتمرت أسـابيع .

***

حماسـة ألـبرت وتفانيـه في تنفيـذ المـشروع جعلـت منـه واحـدًا مـن أبـرز أعضـاء الجمعيـة والـذي تـولى رئاسـتها بالانتخـاب بعدمـا حصـل عـلى أغلبيـة الأصـوات، وهـذا مـا زاده إصرارًا حيـث كان لا يـكاد ينـام وهـو يفكـر وكل ليلـة يراجـع قاعـدة البيانـات الخاصـة بالأشـخاص ويرسـم الخطـط تتمـاشى مـع كل شـخص تشـده بياناتـه، يتابـع أخبـار مسـتعمراته عـن كثـب يحركهـا مثـل قطـع الشـطرنج لا يفوتـه شيء يخطـط وينفـذ، ذات ليلـة وهـو يترقـب فـوز أحـد عملائـه في الانتخابـات في أحـد الـدول إذ بـه يفاجـأ بخـبر فـوز زعيـم المناهـض لأي تدخـل أجنـبي في الشـؤون الداخليـة والإرادات السياسـية الخارجيـة، سـقط عليـه

هـذا الخـبر كالصاعقـة وكان يـردد صحيـح إنـه حـزب ذو قاعـدة شـعبية كبـيرة واسـعة، لكننـا خططنـا وبـكل براعـة لفـوز حـزب عميلنـا، أيـن الخلـل بهـذه العبـارات كان يجـول في الغرفـة وكلـه غضـب، وفـورًا قـام بالاتصـال ودعـى لاجتمـاع طـارئ لجميـع رؤسـاء الأقسـام والفـروع، اسـتنفار شـامل هـزّ نطاقـه، كيـف لـم تصلنـا أخبـار قبـل هـذا الإعـلان وأيـن كان فـرع الاسـتخبارات ونـبرات غضـب توجـه لجميـع الحاضرين، وأقـال مسـؤول الفـرع وعـين آخـر، وقـال لا يخـرج أحـد مـن هـذه الغرفـة إلّا قبـل أن نجـد حلـولاً، وبـدأ كل واحـد مـن الموجوديـن يعطـي حلـولاً، لكـن لـم تكـن تـرضى ألـبرت، بعدمـا اسـتنفذ الجميـع آراءهـم خيّـم الصمـت عـلى الغرفـة دقائـق، نهـض ألـبرت وأخـذ يتصفـح بيانـات الأشـخاص إلى أن وقعـت عينـه عـلى اسـم شـده وسـكت لسـانه، لكـن فكـره ينطـق بـآلاف مـن الكلمـات، ثـمّ أخـذ الهاتـف واتصـل عـلى مسـؤول الخليـة في البلـد، أريـد منـك أن ترتـب لي لقـاءً مـع

السيد مراد أحمد رئيس الحزب المساند لنا هناك، وكان له ذلك، خلال أسبوع اجتمع مع السيد مراد أحمد، وقد جرى الاجتماع في المنزل الريفي لمراد حيث التقيا على مأدبة غذاء، قال ألبرت حسب متابعتنا لأوضاع الدولة كانت فرصة فوزكم بالانتخابات ضئيلة جدًا، لكن تدخلنا بدعمكم ماليًا قلب الموازين، ويبدوا أن هذا غير كافٍ، وبما أن الرئيس قد حاز على رضا الشعب لم يبقى أمامنا سوى حل وحيد، قلب نظام الحكم ولا يكون هذا إلا بإكسابه صبغة شرعية ولا يكون هذا إلا بخلق بلبلة، واتهام الرئيس الجديد بالفساد وسنعمل على توفير كل الأدلة وأنتم ستكملون الباقي بإعلان الانقلاب، رحب مراد بالفكرة وقال لك ذلك، وأي شيء مطلوب مني فهو مجاب بدون أي مقدمات، وبدأ العمل بدفع الرشوى، وإغراق البلد في دوامة الفساد لإظهار السيد مراد هو المنقذ، وبالفعل نجح مراد إثر إنقلاب على الرئيس المنتخب وأصبح

مـراد أحمـد رئيـس لتلـك الدولـة والـتي أصبحـت واحدة مـن بـين المسـتعمرات الـتي تـمّ ضمهـا.

تـولى مـراد رئاسـة البـلاد وسـار بهـا نحـو الهاويـة شـيئًا فشـيئًا، أغرقهـا في الديـون حكمهـا بقبضـة مـن حديـد أسـكت الأفـواه المناهضـة وزجّ بهـم في المعتقـلات، أي لقـوا مصـير الإعـدام بسـبب وبدونـه إثـر محاكـم صوريـة، نهـش الجـوع الشـعب ولـم يكـن لـه إلا الصمـت خوفًـا مـن المصـير المجهـول الذيـن ينتظـر كل مـن تسـول لـه نفسـه أن يعـارض، بيعـت البـلاد وقبـض الثمـن.

***

كان ألـبرت يتنقـل بـين الـدول مثـل النحلـة الدءوبـة، كلمـا شـعر بخطـر صـب كل اهتمامـه عـلى مـكان الخطـر وقتلـه في عقـر داره وهـذا بفضـل الخلايـا النائمـة المزروعـة في جميـع أنحـاء العالـم .

في تلك الأثناء ذاع صيت رئيس دولة تقع في قلب العالم والذي وجد مساندة عالمية جماهيرية كان هذا مثل شوكة في خاصرة المنظمة، كان هذا الرئيس قد استطاع تحويل بلده في غضون سنوات إلى بلد مزدهر ذو سمعة عالمية جيدة، وقد بدأ يتوسع في كل المجالات الاقتصادية خاصة .

هذا الكابوس الذي صار يُؤرِّق منام ألبرت ومنظمته كانوا يعدون الخطط للنيل منه إلى أن جاء اليوم الذي حاولوا قلب الحكم ومساعدة داخلية، لكن بفضل حكمة وحنكة الرئيس باءت محاولتهم بالفشل، فكان الشعب أوعى بكثير مما كان يظن الكثيرين، التفوا حول رئيسهم وخيّبوا ظنون المنظمة، تمّ اعتقال المسئولين واستطاع الآخرون الفرار خارج البلاد، أي لجئوا إلى دول أخرى كانت تساند الإنقلاب.

كانت هذه بمثابة صفعة تلقتها المنظمة ليعيدوا النظر في حساباتهم في الطرق والأساليب.

توالت الشهور إلى أن قرب موعد الانتخابات الرئاسية في ذلك البلد، فلم يجدوا بُدًا من نيل من رئيسها غير خسارة الانتخابات وبدأت الماكينة الإعلامية عملها بتشويه صورة ذلك الرئيس عالميًا التي سيكون لها صدى داخليًا، لكن تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن فقد أثبت الشعب مرة أخرى إنه سيد الموقف وحسم الموقف لصالح الرئيس مرة أخرى.

تأكد ألبرت أن الشعوب ليست مثل بعضها وأن الخونة لا يمكن أن يتواجدوا في أي مكان وأن المال ليس هو بالضرورة سيد المواقف.

***

كان هدف المنظمة الرئيسي حماية الوطن المزعوم والسبيل الوحيد كان كسر التكتلات المناهضة له بزرع الفتن داخلها ويترك الباقي لأعضائه يتكفلون بالباقي، وذلك بالعملاء الذين

زرعوهـم داخـل تلـك التكتـلات بتسـيير أصحـاب القـرارات لتكـون لصالـح المنظمـة، وهـذا مـا تـمّ عملـه في تكتـل يضـم خمسـة دول فقـد ألبهـم عـلى واحـدة مـن تلـك الـدول بحجـة أن تلـك الدولـة تهـدد اسـتقرار المنطقـة بمسـاعدة الجماعـات الإرهابيـة وكان هـذا الخـبر يسـير مثـل النـار في الهشـيم وتسـارعت الأحـداث، وتـمّ فـرض الحصـار عـلى تلـك الدولـة و تناحـر الشـعوب في بيتهـا بحـرب كلاميـة لـم يسـبق لهـا مثيـل، تنامـى الحقـد العـداء بـين الشـعوب العميـاء الـتي كان يسـوقها العمـلاء مثـل الراعـي للقطيـع دون وعـي ولا تمـيز ولا تفكـر، واسـتمر ذلـك العـداء الـذي لـم يسـلم منـه العلمـاء الذيـن زُج بهـم في السـجون لأنهـم أرادوا لـمّ الشـمل وترميـم الـذي كُسر، أمـا مـن خـاف منهـم فقـد استسـلم للأمـر الواقـع وصـار يُطبـل سـواء طواعيـة أو قهـرًا..

عمّـت الفـتن وسـقطت الذمـم وتشـتت الهمـم وضاعـت مـا كان يومًـا قـوة يحسـب حسـابها، فلـم

تصبح الآن سوى تابع ينتظر الأوامر من أسيادهم بعدما كانوا أسياد الأمم..

***

ولم يتوقف طموح ألبرت إلى هذا الحد بل كان يطمح إلى تركيع العالم بأسره، كلما جلس على كرسيه الفخم في مكتبه يتأمل تلك الخريطة اللعينة، هاجسه المستمر، حلم حياته، هدفه الأسمى، رغم المرض الذي ألّم به بعدما شارف على الخمسين، مرّ نصف قرن على وجودي بالحياة ولست راضيًا إلى ما وصلت إليه، استطعت خلال نصف قرن من تغيير وهز استقرار العالم، لكن هناك مناطق لم أصل إليها بعد، ليتني قبل رحيلي عن هذا العالم أن أكتب اسمي بحروف من ذهب، والأجيال التي تأتي بعدي تكمل المسيرة التي بدأتها، لم أرزق بأطفال لكن الوقت لم يفت بعد مازال هناك متسع منه لأترك من يحمل الراية من بعدي يكون على مستوى طموحاتي، عليّا أن أبحث عن

هـذا الطمـوح الـذي يشـاطرني نفـس الأفـكار، يجـب أن أجـده بـين صفـوف المنظمـة، يكـون شـابًا أسـتطيع أن ألقنـه كل مـا أعلـم ويكـون وريـثي.

كان ألـبرت في كل الاجتماعـات والحفـلات يختلـط بـين الحضـور باحثـا عـن وريثـه، لكـن بـدون جـدوى فهـؤلاء الشـباب لديهـم الحماسـة، لكـن ينقصهـم هـذا الـشيء المميز الـذي لا أعـرف مـا أسـميه، لكـني لـن أيـأس حـتى أجـده وأن تطلـب الأمـر سـأخلق هـذا الشـخص.

وتمـر الشـهور وذات مـرة كان يلقـي محـاضرة بجامعـة بأمريـكا حـول دور الاقتصـاد في خدمـة السياسـة، اسـتوقفه أحـد الحضـور بسـؤال إذا كان المـال هـو عصـب الحيـاة كيـف نسـتطيع أن نسـتغل هـذا السـلاح في تغيـير الخريطـة الجيوسياسـية للعالـم؟ واصـل ألـبرت محاضرتـه وبعـد انتهائـه طلـب مقابلـة ذلـك الشـاب المدعـو «فليـب اندرسـون» وكان لـه حـوار طويـل ونقاشـات شـائكة، أعجـب ألـبرت بـ

فليب وردوده التي بعثت الغبطة على قلبه، وكان نظرات الرضا ترسم على وجه ألبرت كأنها تقول وأخيرًا وجدت ضالتي، هذا هو الوريث سأصقله وأصنع منه ألبرت ثاني.

دأب ألبرت على تعليم وتلقين فليب كل ما جمعه من خبرة طيلة النصف قرن التي عاشها، ورغم المرض الذي ألم به كان بعلم أن أيامه أصبحت في هذا العالم معدودة وأنه في سباق مع الزمن.

اشتد المرض على ألبرت في أيامه الأخيرة إلا أنه لم يستسلم في مهمته الأخيرة صنع ألبرت ثاني أكثر ذكاءً وأكثر إصرارًا على خدمة المشروع الذي أطلقه من منذ ربع قرن، وفي لحظاته الأخيرة في هذا العالم على نفس السرير الذي فاضت روح أبيه وقف فليب وأمسك ألبرت يده، وقال لم أرزق بابن وأنت بمثابة ابني علمتك كل ما جمعته خلال مسيرتي وتركت لك ما يكفيك ويكفل لك العيش الكريم والآن أنا أحملك المشعل لتكمل ما بدأته،

اجعلـه نصـب عينـك ولا تتـوانى ولا لحظـة عـن السـير قدمـا في تنفيـذ المـشروع، وفاضـت روحـه ودُفِـنَ في مقابـر العائلـة بقـرب والديـه.

***

الخـير والـشر متلازمـين دائمًـا، مثلمـا ظهـر ألـبرت شـيطان متخفـي في ثـوب مـلاك حكـم بقبضـة حديديـة خدمـة لمصالـح الـشر في الخفـاء، هنـاك الملايـين مـن الخيريـن في هـذا العالـم غايتهـم محاربـة هـؤلاء الخفافيـش الـتي تعيـش في الظـلام تقتـات عـلى ألـم و جـراح الأبريـاء.

الكنزي
ALKANZY